الجامعة المستنصرية
كلية الاداب
قسم الفلسفة
المحاضرة (1)

المدرس المساعد : شهد رحيم محمد
shahedaljabiry512@uomustansiriyah.edu.iq

صور النقد في فلسفة الحداثة

يتفق الباحثين على ان ديكارت هو بداية شرارة النقد والتأسيس لمنهج معرفي يتسم بالوضوح والتمايز، عبر الشك في ادراكات الحواس، فثمة اجماع على اعتبار ديكارت اباً للحداثة ويرتكن هذا الرأي على مبررات قوية ترجع الى البرنامج الذي أعده، والى المنهج الذي اتبعه لتحقيق هذا البرنامج، اي تكوين معارف واضحة ومتمايزة تتسم باليقين وله قولاً في ذلك "وجب الا ادخل في احكامي الا ما يتمثل امام عقلي بجلاء وتميز، بحيث لايكون لدي اي مجال لوضعه موضع الشك ولقد ترك منهجه اثراً كبيراً على تيار فلسفة الحداثة بعامة

لكن الفلسفة النقدية من حيث الاصطلاح ارتبطت بشكل وثيق بالفيلسوف الالماني كانط . والذي اعلن في عام 1781م ان عصرنا انما هو عصر النقد الذي يجب ان يخضع له كل شيء، وقد اشتهر كانط بثلاثيته النقدية (نقد العقل المحض – نقد العقل العملي – نقد ملكة الحكم) وبذلك صار يطلق مصطلح الفلسفة النقدية على مذهب كانط وفلسفته وهو مذهب يرى ان الذهن يؤلف معارفه وفقاً لصوره ومقولاته الخاصة، وهي صادقة بالضرورة اذا ما بقيت في حدود التجربة، بينما سوف تفقد يقينها اذا ما تجاوزتها، ويتميز كانط بكونه يستخدم لفظة النقد بشكل مغاير عن المألوف، فهي لديه لا تشير الى نقد المؤلفات والانساق، وانما تشير الى نقد قدرة العقل عموماً منظوراً اليه من جهة ما يمكنه ان يحصل عليه من معارف مستقلة عن التجربة

وبذلك يكون كانط قد احدث ثورة اشبه بالثورة الكوبرنيكية في مجال الميتافيزيقا، عندما تسائل عن الكيفية التي يصل بها الى اليقين، و تأسيس علم للميتافيزيقا على غرار نيوتن الذي حقق اليقين بالعلم، وقد ترك اثره على من سبقه وعلى وجه الخصوص عند كل من هيجل وكارل ماركس ونيتشه وصولاً الى النظرية النقدية مع مدرسة فرانكفورت في القرن العشرين فأخذ كل منهم يطبق النقد وفق نسقه الخاص.

وقد اخذ النقد عند هيجل شكل سلب ديالكتيكي يتجاوز الموجود بأستمرار، فأذا كان العقل مع كانط هو منظم للمعرفة، فقد اخذ مع هيجل مكانة اكبر جعل منه هو الحاكم للعالم كله كما بين في كتابه ظاهريات الروح تمظهرات العقل في الوجود، التي تبدأ من الروح الذاتي وصولاً الى الروح المطلق، وفي قمته الفلسفة التي من خلالها يعي الانسان بأن الظواهر العينية التي توحي للذهن العادي بأنها حقائق، ما هي الا سلب لهذه الحقائق ونقد لتأكيدها

ومع كارل ماركس خرج النقد من ميدان الابستمولوجيا الى الجانب الاجتماعي-السياسي يتميز مشروع ماركس النظري بكونه يستند الى النقد، وكل كتاباته حتى وان لم تحمل النقد عنواناً فهي كانت تعتمد عليه بالدرجة الاساس، كما انه وانطلاقاً من مقولته (المانيا تفكر والعالم يصنع) عمل على ضرورة ان تأخذ الافكار بعد تطبيقي في العالم الخارجي، واعتبر التطور النظري والفلسفي ما هو الا تعبير عن التخلف الحضاري والتاريخي، ولذلك فقد وجه النقد في فلسفته الى الواقع السياسي والاقتصادي والديني والتاريخي للحضارة الالمانية، وقد اخذت المرحلة الاولى من النقد الماركسي دلالة سياسية بالدرجة الاولى، لان المعطيات السياسية والاجتماعية والتاريخية اقتضت ذلك، منتقداً النظريات الاقتصادية البروجوازية ومعتبراً ان العمل في هذا المجتمع يشكل استلاباً كلياً للانسان

ومع فيلسوف المطرقة فريدريك نيتشه اخذ النقد دلالة تعرف بالعدمية الاخلاقية، وهي مذهب نظري او نزعة فكرية، فأذا كانت مذهباً نظرياً دلت على انكار القيم الاخلاقية وابطال مراتبها، واذا كانت نزعة فكرية دلت على خلو العقل من تصور هذه القيم. فهو يقول مهمتي هي تحطيم الاصنام. ان هدف نيتشه هو نقد الراهن في كل تمظهراته، اي نقد لقيم الحداثة على درجة الخصوص، اذ يشير في كتابه هذا هو الانسان الى ان (ماوراء الخير والشر) هو نقد للحداثة، عبر مسائلة قيمها واعادة النظر فيها، ونزع طابع القداسة عنها بأتجاه قلب كلي لجميع القيم، وبالسؤال عن من هو واضعها ولأية غاية، وذلك عبر المنهج الجينالوجي والذي هو علم يبحث في اصل انساب العائلات، ولكن نيتشه وظفه في فلسفته لبيان اصل المفاهيم القيمية والاخلاقية، وتتبعها عبر العصور لبيان ان كل القيم هي عبارة عن صناعة ولا تحمل اي معنى اخر

كما يطبق اصطلاح النقدية على مذاهب المثالية الذاتية، التي تذهب الى ان معرفة الانسان محدودة وان الخبرة بالمعنى المثالي للكلمة، هي المصدر الوحيد للمعرفة ومثالنا في ذلك هي نظرية النقدية التجريبية عند الوضعية الجديدة لمناهضة الميتافيزيقا، وقد عملت الوضعية المنطقية على تنقية التجربة من المفاهيم كالجوهر والعلة والضرورة وماشاكل باعتبارها مدركات اولية(مفاهيم عقلية) ادخلت خطأ على التجربة، وهي بذلك اتجاه تجريبي مثالي عمل على نقد جميع الفلسفات العقلية ومرجعيتهم المعرفية هي كل من فلسفتي بركلي وهيوم

فإذن في فلسفة الحداثة برز نمطين من النقد احدهما النقد الكانطي، او يستلهم مقوماته من المرجعية الكانطية التي شكلت لحظة مفصلية في الفلسفة، وفي التأسيس المفاهيمي للنقد، وتتميز بكونها تمنح اهمية كبرى للمقولات وللمعرفة من منطلق تحديد صدقيتها ودقتها وقيمتها المعرفية، والثاني هم النقد الماركسي الذي يشدد على تعبئة قدرات العقل لتشخيص الواقع التاريخي، والاجتماعي والسياسي، وكشف آليات السيطرة والاستغلال المتخفية في ثناياه وسياقاته المتعرجة .